العلاقات الليبية المالية
عبر التاريخ

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت تينبكتو من أشهر المدن الإسلامية فى غرب أفريقيا وكانت طرق القوافل تمخر الصحراء من غدامس، وغات، ومرزق، فى ليبيا لتصل إلى مدن السودان. اقدز. وتينبكتو.

وكانت مملكة السنغاى الإسلامية مزدهرة ويعم الرخاء كل المنطقة التى تسمى الآن جمهورية مالى، الأمر الذى أغرى سلطان المغرب منصور الذهبى بغزوها، وجهز حملة بقيادة «جودر» وهو اسبانى ومجموعة من المدافع يشرف عليها بريطانيون.

واستطاعت الحملة أن تشق الصحراء، وتصل إلى شمال مالى، وأمام عدم تكافوء السلاح استطاعت أن تحطم مملكة السنغاى وان تحطم تينبكتو عاصمة الشمال، والمركز التجارى ونهبت مكتباتها، وتم أسر علماءها وشحنهم إلى المغرب، وكان من ضمنهم العالم أحمد بابا الذى قضى بالمغرب ستة عشر سنة.

وكما كان للمغرب هذا الاتصال بمالى كانت ليبيا على علاقة تجارية بمالى.

وقد وصل العالم الليبى على يخلف النفوسي أو كما يسمونه فى ليبيا التينميجارى إلى مالى تاجرا.

وقد قام بنشر الدين الإسلامى فى المنطقة وحتى ان سلطان احدى القبائل الوثنية دعاه لأن يدعو الله له لجلب المطر، وقد عم الجفاف المنطقة.

وطلب الشيخ على يخلف من السلطان أن يتوضأ ويؤمن على دعائه، وجلس

يصلى ويدعو الله طوال الليل، وما إن انبلج الصباح حتى استجاب الله لدعاء الشيخ وانهمر المطر، وعم الخير كل البلاد، الأمر الذى جعل السلطان وقبيلته يدخلون الإسلام، ولا يزال إلى اليوم هناك قرية خارج باماكو تعتنق المذهب الاباضى نتيجة لدعوة ذلك الشيخ الطيب.

الجهاد ضد فرنسا

ومن المعلوم أن فرنسا هاجمت غرب أفريقيا عام ١٨٩٩ بما فيها مالى، وكان الشيخ عابدين الذى مر فى طريقه إلى الحج بالجغبوب وتتلمذ على الشيخ محمد المهدى السنوسى، وأخذ عنه الطريقة السنوسية وقاد الجهاد فى شمال مالى.

وحتى عندما قاد محمد كاوسن حملته الشهيرة إلى اقدز، وصل الشيخ عابدين إلى اقدز بحملة من رجاله لمناصرة كوسن ضد الفرنسيين.

استقلال مالى:

وكما هو معروف أعطت فرنسا لمستعمراتها تقرير المصير لتتخلص من الثورة الجزائرية، واستقلت مالى عام ١٩٦٠ وكان رئيسها موديبوكينا، الذى يدعو إلى الاشتراكية وكان على علاقة طيبة مع الرئيس جمال عبدالناصر وكذلك أحمد بن بله الذى أصبح رئيساً للجزائر بعد استقلالها.

وكانت مجموعة العرب والتوارق فى شمال مالى مضطهدة أيام الاستعمار الفرنسى لأنها هى التى قاتلت الفرنسيين فجعلوها منطقة عسكرية ولما استقلت مالى بقيت على حالها كمنطقة عسكرية، وشعب مضطهد الأمر الذى جعل الشماليين يقومون بثورة.

ثورة كيدال ١٩٦٣

قام موديبوكيتا بتأميم حيوانات الصحراويين الأمر الذى جعل من زيد بن الطاهر ابن سلطان افوغاس أن يقود ثورة تشمل كل عرب الشمال وتوارق الشمال.

وكانت قيادة هذه الثورة زيد بن الطاهر ومحمد بن على الانصارى وسيدى حبيب الله، ومجموعات أخرى.

وصادف ان استقلت الجزائر وطالبت المغرب بمناطق حدودية «الساوره منطقة بشار وتندوف» التى ضمتها فرنسا للجزائر من أرض المغرب.

ولم توافق الجزائر، فنشبت الحرب بين البلدين، تلك الحرب التى يسمونها «حرب الرمال».

وتدخل موديبوكيتا بين البلدين لإجراء الصلح ودعا الملك الحسن الثانى والرئيس أحمد بن بله لحضور لقاء فى باماكو.

ولاثبات حسن النية، قام الحسن الثانى بتسليم محمد الأنصارى الذى لجأ إليه إلى موديبوكيتا، وكذلك فعل أحمد بن بله بتسليم زيد بن الطاهر ومعه ثلاثة من قيادات الحركة الذين وصلوا إلى توات فى جنوب الجزائر لبيع إبلهم والذهاب إلى هيئة الأمم المتحدة ليشرحوا قضيتهم.

كما قام الرئيس جمال عبدالناصر بدعم موديبوكيتا بالسلاح، وبالسيارات المصفحة لاخضاع الثورة.

وسمح أحمد بن بله للقوات المالية بمطاردة الثوار داخل الأراضى الجزائرية.

وهكذا تم القضاء على ثورة كيدال.

علاقة ليبيا بمالى

وصل إلى ليبيا عام ١٩٥٨ الأمير محمد على الأنصارى لاجئاً، وكان يسمونه أمير تينبكتو، وسكن فى طرابلس وكان معه مجموعة من الطلاب استقبلتهم ليبيا فى مدارسها، وكان معنا منهم جماعة فى الحركة الكشفية، كما وصلت مجموعة من

العائلات واستقرت بليبيا.

وذهب الأمير الأنصاري إلى الحج، وهناك قيل إنه باع مجموعة من العبيد كان يملكها الأمر الذى احتجت له مالى فى هيئة الأمم.

وقام الملك فيصل آل سعود بشحن هذه المجموعة فى طائرة وأرسلها إلى مالى عام ١٩٦٤.

وبقيت منها مجموعة اختارت البقاء فى السعودية التقيت ببعضهم عندما كنت هناك فى أوائل هذا القرن، ووقع انقلاب ضد موديبوكيتا وتولى قيادة مالى الرئيس موسى تراورى.

زيارتى إلى مالى ١٩٧٣

وفى عام ١٩٧٣ زرت مالى والتقيت مع بعض أقرباء قيادة الثورة المالية الذين كانوا فى السجن.

وأبلغتهم أن ليبيا تؤيدهم وعليهم الهروب من السجن واللجوء إلى ليبيا، ولم يفعل ذلك إلا شخص واحد منهم هو «اللادى بشير» الذى وصلنى فى ليبيا فى أواخر السبعينات واستقبلته.

احتضان ليبيا للعرب والتوارق

قدمت مذكرة للقيادة الليبية عما يقاسيه العرب والتوارق فى شمال مالى، من قتل وتعذيب وتشريد وسجن، وكلفتنى القيادة بالاهتمام بالموضوع، ودعم مجموعات العرب والتوارق.

وهكذا قمت باستقبالهم فى ليبيا، وشكلت مكتب شئون الصحراء لاستقبالهم والاهتمام بهم خاصة وأن العقيد القذافى كلفنى بالعمل ضد حكومة النيجر التى

حركت مظاهرات ضد ليبيا وتم حرق العلم الليبى.

فأنشأنا معسكرات لتجميع عرب وتـوارق النيجر واستقبال المعارضة، واستغليت الأمر فاستقبلت عرب وتوارق مالى ضمن هؤلاء، وقمت بتدريبهم وتعليمهم. وتشغيلهم فى المشاريع.

كما استقبلت آلاف العائلات وجعلنا لهم مخيمات وتوفير السكن والغذاء لهم وتعليم النساء التمريض والدراسة والخياطة وتدريس الأطفال.

مالى تحتج

واحتجت حكومة مالى لأننى أقوم بتدريب مواطنيها على السلاح، وكلفت سفيرها فى ليبيا بمتابعة الموضوع، وصارت تقبض على أى تارقى أو عربى يرجع إلى وطنه، وتسجنه أو تقتله، ولكننا استمرينا فى تدريب الشباب فى معسكرات أقيمت لذلك.

قومية المعركة

أطلق العقيد القذافى نداءه بقومية المعركة وفتح معسكرات للشباب العربى للتدريب لتحرير فلسطين وتم تطوع آلاف الشباب لهذا العمل النبيل.

وكان من ضمنهم ٢٦٠ شاباً من عرب وتـوارق مالى المتواجدين عندنا فى المعسكرات وخاضوا معارك الجنوب فى لبنان ضد الإسرائيليين دفاعاً عن لبنان عندما هاجمتها إسرائيل. وهذه المجموعة كان أحد قادتها الشاب الشجاع (الشيخ اوسا) الذى استطاع برشاشته قتل مساعد رئيس الأركان الإسرائيلى فى احدى هذه المعارك.

وبقى المتطوعون سنة ونصف السنة مع الفلسطينيين فى جنوب لبنان وبيروت وسهل البقاع، ثم عادوا إلى الوطن.

ثورة شمال مالى

تم الضغط على ليبيا والحصار الأوروبى الأمريكى بحجة قضية «لوكربى»، وبدأت المفاوضات مع الغرب الذى اشترط حل المعسكرات، وإيقاف دعم حركات التحرير.

وفى يوم ٣٠/ ١١/ ١٩٩١ تم اجتماع لكل العاملين فى حركات التحرير، فى مكتب «أمين الداخلية» المرحوم إبراهيم بكار، تقرر فى هذا الاجتماع حل المعسكرات وكنت قبل ذلك أرسل الشباب إلى شمال مالى ليتجمعوا هناك ويشتروا أسلحة ويخزنونها فى جبال كيدال. وفى هذه الفترة انطلقت الثورة واستطاع الشباب أن يقتحموا معسكرات للجيش المالى المتمركز فى الشمال والذى يسيىء معاملة المواطنين واستطاعوا الاستيلاء على أسلحة، ونشبت معارك شديدة فى الشمال.

اجتماع جانت

قرر العقيد القذافى أن يعقد اجتماعاً بين الرؤساء الأفارقة فى المنطقة، فى مدينة جانت فى الجنوب الغربى للجزائر. وذهبت مع العقيد القذافى للمؤتمر الذى أصر فيه الرئيس المالى أنه «سيسحق هؤلاء الأوغاد» فى فترة أقل من ثلاثة أشهر.

ولما أخبرنا العقيد القذافى بهذا فى الطائرة ونحن راجعين إلى ليبيا، قلت له إن تراورى حتماً سيسقط قبل الثلاثة أشهر. وفعلاً بعد شهرين سقط موسى تراورى وتولى بعده «تومانى توري» أحد الضباط الذين كانوا يقاتلون الشماليين.

مالى تطلب التدخل من ليبيا لاخماد الثورة

طالبت مالى من الحكومة الليبية ان تنجدها لإنهاء الثورة وإجراء الصلح بين الحكومة المالية والثوار وكلفنى العقيد القذافى أن أقوم بهذا الدور حيث وصلت إلى باماكو وقابلت الرئيس الذى طلب منى العمل على إنهاء المشكل وطلب ذلك مجموعة من الوزراء الذين التقينا بهم.

وفعلاً اتصلت بالشماليين وحضر قياداتهم إلى موريتانيا للحضور إلى ليبيا، وهنا

تدخلت الجزائر، وأبلغتنى القيادة بأن أترك الموضوع للجزائرين، الذين عقدوا اجتماعات للمصالحة، وفى لقاء صاخب أحرق الشماليون أسلحتهم على أن يدخل مجموعة منهم فى الجيش المالى، ويكلف مجموعة منهم فى العمل السياسى فى الخارجية المالية، إلا أن هذا لم ينجح، وصارت الثورة تتفجر بين الحين والآخر.

وصول الإسلاميين المتشددين إلى شمال مالى

بعد تمزق القاعدة وخروج أكثر مجموعاتها من أفغانستان، وسقوط العراق، وصل الإسلاميون إلى شمال مالى، وحاول العقيد القذافى أن ينصح الشباب أن يتخلوا عن أسلوب المتشددين إلا أن النصح لم يفد، خاصة بعد دخول السعودية وقطر على الخط ودعم المتشددين فى المنطقة حتى ان قطر اتصلت ببعض الشباب لتدفع بهم للعمل على مهاجمة ليبيا، ودعم حملة الناتو وخلق التبرير لها.

أحداث ٢٠١١ فى ليبيا

وكانت هناك مجموعة من الشباب الماليين فى الجيش الليبى وعندما هاجم الناتو ليبيا انسحب هؤلاء الشباب بأسلحتهم وآلياتهم ووصلوا إلى شمال مالى واعجبهم ما تحصلوا عليه وقاموا بإعلان الجمهورية الازوادية فى شمال مالي، إلا أن الجزائر لا يروق لها ذلك. وان فرنسا لا يروق لها ذلك.

فقامت فرنسا باتخاذ ذلك ذريعة وهاجمت الشمال بطيرانها الذى سمحت له الجزائر باختراق أجوائها وسحقت قوات الشماليين بعد أن سيطروا على الشمال، وصاروا يهدمون المنشآت التاريخية، وقبور الأولياء فى المنطقة والمساجد القديمة التى يعتبر المواطنون قدسيتها وقبور الأعلام والعلماء بحجة أنها ضد السُنة.

وقد فعل أمثالهم فى المناطق التى سيطروا عليها فى العراق، وسوريا، وليبيا وهى هجمة ضد التراث العربى الإسلامى، والتاريخ فى المنطقة فى برنامج معد لذلك من خارج البلاد.

وبعد سقوط النظام الليبى استعان الإسلاميون من القاعدة والإخوان المسلمين، وأنصار الشريعة والمقاتلة، ببعض الشباب المالى الذين وجدوهم فى القوات المسلحة الليبية، واعتبروا أن المتشددين فى شمال مالى، وشمال النيجر وبوكو حرام فى شمال نيجريا وأفريقيا الوسطى امتداد لهم فى المنطقة.

ليبيا تدعم مالى

وقامت ليبيا «ثورة الفاتح من سبتمبر» بدعم حكومة مالى، وساعدتها على شق الطرق وإنشاء مجموعة من المنشآت والفنادق. انشاء، فنادق كبيرة فى باماكو. وانشاء مشروع لزراعة الارز على النهر. شراء فندق انشأته مصر ايام عبدالناصر. وهو من اكبر الفنادق.

انشاء قرية سياحيه فى قاوه وحفر، آبار فى قاوه

وأنشأت المدارس وحفرت الآبار فى شمال مالى، وأعادت العمل لترعة تينبكتو التى تتفرع من نهر النيجر وطولها ١٥ كيلو متر، وشقتها من جديد.

ودعمت مركز دراسات ومكتبة «أحمد بابا التينبكتى» حيث رممت المخطوطات وجهزت المبنى. وانشأت مدرسة خياطه للتدريب وعياة ومستوصف.

ووزعت ليبيا ٣٠٠ مائة جرار على المزارعين و٢٠٠ سياره اتوبيسات للنقل مجانا ومجموعة كبيرة من آلات الخياطه بعد تدريب النساء على الخياطه.

وتخرج عشرات الشباب الماليين من الجامعات الليبية.

وأصبحت مالى أحد دعائم منظمة «دول الساحل والصحراء» «س. ص» تتعاون مع ليبيا فى كثير من القرارات السياسية فى المنطقة الأفريقية.[1]

(١) يمكن الرجوع لكتاب (فرسان الغروب) للمؤلف وبه قصة احتضان ليبيا لثوارق مالي والنيجر.